على هامش معالم التقريب *

من آثار الطاقة الروحية

يعود محمد عبد الله محمد، فيكرر أن الطاقة الروحية التى يتحدث عنها - ينتسب إليها أصل وتطور كل علم وفن وفكر .. وأنه بمعونتها اكتشف الإنسان معظم هذه القوانين والنواميس وصيغها الرياضية التى تمثل حدس وتصور الإنسان لهذا النظام العاقل المعقول الذى يسود العالم الطبيعى .

فكل الظواهر التى يحفل بها الكون، تمضى فى فلكها المرسوم، وتؤدى دورها، دون أن تعى أو تدرك معنى هذا النظام ودورها فيه .. فالرياح تهب فى جميع الاتجاهات، والأنهار تجرى، والبحار تموج وتذخر بما فيها، والأرض والأفلاك تدور، والشمس تضىء والقمر يعكس ضوءها، والكواكب تطلع وتختفى، والنباتات تنبت، والحيوانات تولد وتموت .. ولا تعرف شيئا من ذلك كله، ولا معناه، ولا النظام التى هى جزء منه .. لا يعرف ذلك إلا خالقها سبحانه الذى حلقها وأبدعها ويعرفها أكمل وأدق معرفة .

وذكاء الإنسان يدفعه بروحه العظيمة إلى محاولة إدراك ما يدور حوله .. والاتصال بالحق تبارك وتعالى اتصال العبد بالمعبود، والعويلم بالأعلم، والعويقل بالحبير الحكيم الأعلى، والشرارة الصغيرة بالروح الأكبر .. اتصال المخلوق بالخالق .. بسيده ومليكه ومالك كل شىء .. اتصال حوار توقيفى .. يبادل فيه مَنْ لا حد

---

* العالم ٢٠١١/٤/٦

قوته ومقدرته وحكمته - مَنْ لاحد لضعفه ولا لشوقه إلى الفهم والحرية .. وإلى الود والمحبة .. فى هذا الخطاب يقدم العبد المخلوق الصغير إلى ربه عز وجل الخالق الكبير المتعال - يقدم حسابا عن روحه وما خلصت به وانتهت إليه .. حسابا لا بد منه لكى يتسق فى روح الإنسان معنى العدل وقيمة الحرية والحق .

يلاحظ محمد عبد الله محمد - أن من أسباب هبوط الطاقة الروحية ومن نتائج هبوطها فى ذات الوقت - انشغال الناس بالعرضى الوقتى عن الدائم الباقى .. زاد ذلك أن الحضارة الحالية شغلت الناس بزحام العرضى فى يقظتهم وفى أحلامهم .. حتى صار العرضى هو الأصل الشاغل للحياة من حولنا، ومن كل جهة، يملأ النفوس واهتمامات وخيالات الناس ويصرفهم صرفا عن الدائم الباقى !

صار العرضى هو العملة العالمية الحقيقية الآن ..وشمل ذلك الأشياء والشهوات والرغاب التى تتقاسم عقول وعواطف واهتمامات معظم الناس .. وميزة هذا العرضى فى عيونهم أنه ميسور المنال لإرضاء فرديتهم ورغائبهم وخيالهم وحبهم لذواتهم .. ومناسب لإظهار قدرتهم ومهارتهم مع شوقهم إلى استعجال التغير وسرعة الوصول إلى النتائج السهلة البراقة .. وهو مجال يغرى بإرضاء الذات وإبراز الشخصية !

ونحن نتوهم فى انسياقنا للعرضى أننا نزيد حريتنا وسعادتنا ونعطى حياتنا أبعادًا واتساعًا .. وهذا وهم كأبنية الرمال ..ولا ندرك أن انحصارنا فى هذا العرضى الزائل يصير عرضًا وقتيا نسبيا هو الآخر .. ويفقد مع الوقت قيمته لديا . ونحن كأفراد لا نتصور أنه فى مقدورنا أن نصنع شيئا دائما باقيا .. وهذا وإن كان صحيحا فى الأشياء المادية، إلا أنه غير صحيح فى غير الماديات وفى أمور الروح

وفى قضايا الإنسان الكبرى . وأثر الفرد يتجلى فيمن حملوا الرسالات والنبوات وفى العباقرة الأفذاذ وفيمن حققوا البطولات والإنجازات .. هؤلاء كانوا أفرادًا وسيظلون أفرادًا إلى ما شاء الله ..

يلاحظ محمد عبد الله محمد أنه يوجد فى الطاقة الروحية شىء يشبه مجالات التأثير المشاهدة فى ظواهر الطاقة الطبيعية .. ويوجد نوع أو أنواع من المجالات تقوى فيه طاقتنا الروحية الكامنة وتشتد ..منها على سبيل المثال بعض مشاهد الطبيعة الحيّة وغير الحيّة .. ومنها بعض أشكال الطقوس والمراسم .. ومنها بعض الآثار والإنشاءات كالمعابد والمزارات . أو التجمعات كالحج وصلوات الجماعة ..

والطابع المشترك فى هذه المجالات - أنها على خلاف مجالات الطاقة الطبيعية، لا تعمل بصفة آلية مباشرة فى الجزئيات والذرات ومكوناتها .. وإنما تعمل فى طاقتنا الروحية الكامنة وفى وعى الإنسان وعواطفه، فى الطرق الموصلة من خارج الإنسان إلى أعماقه .

والقرآن المجيد يضاعف فى بيانه الرفيع من تأثير مشاهد الطبيعة بالتذكير القوى السليغ بها ..

" وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ " .. " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ " .. " وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا " .. " وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى " .. " وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ " .. " تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ " .. " وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن

بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ " .. " وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا " ..

ومن يتأمل فى هذه المشاهد، ويرقب الشجرة، يجدها تمد أوراقها وأغصانها إلى ضوء الشمس .. وتشغل مكانًا مقدرًا لها من قبل فى الأزل، وتبسط مع الأوراق والأغصان ما هو مطلوب وتحتاجه الحياة منها .. تثمر ثمارها وتورف ظلها وتهيّئ للطيور أوكارها وأعشاشها .. وفى مساقط الأمطار وحرارة وعرى الخريف وبرد الشتاء .. كل شىء فيها محسوب بدقة .. وهذا النظام والتنظيم والتقدير رحمة فى نظر الإسلام .. مبنية على رحمة . وآية من آيات الخالق الذى تتجلى رحمته فى إبداعه وصنعه وتقديره وترتيبه .. فلا تصافح قدرة الله مخلوقاً دون أن تصحبها رحمته .. وهذه الرحمة هى جسر يسع الناس جميعًا .. ممدود من الأزل إلى الأبد .. عليه يلتقى المؤمنون بلا واسطة .. فى اتجاه الواحد الأحد، الملك القدوس، العزيز الجبار .. سبحانه وتعالى .. رب العالمين .